مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

أين السعادة في أسوأ زمن؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

صدق الله العظيم. يصف الله عز وجل المؤمنين بأنهم إخوة. وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة، منها "لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِه". صدق رسول الله في ما قال أو كما قال. وهذا أمر بالغ الأهمية، وله فائدة عظيمة للمسلمين وللبشرية جمعاء. لأنه عندما يتمنى المرء لأخيه - وقد ذكرنا ذلك سابقًا: أخاه في الإسلام - ما يتمنى لنفسه، فإنه سيتمنى له الخير أيضًا. والخير ينشر الخير، ينشر السعادة، ينشر البركة. هذا ما بيّنه نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وما يقوله الله عز وجل في القرآن: المؤمنون إخوة.

.

تُطلق على زمن النبي صلى الله عليه وسلم "عصر السعادة". أي سعادة؟ لم يكن لديهم حتى ما يأكلونه. كانوا أحيانًا يمكثون جائعين يومين أو ثلاثة، لا يأكلون شيئًا ولا يجدون ما يأكلونه. لكن يعلم الجميع أن هذا كان أسعد زمن للبشرية جمعاء. في التاريخ كله، كان أسعد زمن هو زمن النبي صلى الله عليه وسلم. بالطبع، دام ذلك ثلاثة وعشرين عامًا. كانت تلك السنوات أسعد سنواتهم. بعد ذلك، سرعان ما أصبح بعض الناس أعداء، وقع بعضهم في الفتنة. شيئًا فشيئًا، ازداد الوضع سوءًا.

.

لهذا السبب، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث "زماني هو أفضل الأزمنة. ثم زمان الخلفاء الراشدين من بعدي، الخلفاء الأربعة: سيدنا أبو بكر، عمر، عثمان، وسيدنا علي كرّم الله وجهه ورضي الله عنهم. بعد ذلك، القرن الأول. والقرن الثاني جيد أيضًا. بعد ذلك، سيكثر من هم ليسوا على الطريق". الطريق الذي بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم: المحبة. "ستكون هناك أمور كثيرة تفرق بينهم". بعضها صحيح، وبعضها ليس صحيحاً. لكن في هذا الزمن، لن يكونوا سعداء كما كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم. يقول النبي صلى الله عليه وسلم عامًا بعد عام، وقرنًا بعد قرن: "كل قرن أسوأ من الذي قبله، وكل قرن أسوأ من الذي قبله". والحمد لله، وصلنا إلى أسوأها، الحمد لله [يضحك مولانا]. ماذا نفعل؟ لقد خلقنا الله ﷻ في هذا الزمن.

.

ولكن لا يزال هناك الأمر نفسه من النبي صلى الله عليه وسلم. لم ينتهِ هذا الأمر. المؤمنون إخوة. يجب على المؤمن أن يحب أخاه، جماعته، المسلمين. يجب عليه أن يحبهم. لا يجوز له أن يفتن بينهم، ولا أن يكونوا أعداءً. بقدر ما أنت سعيد بأخيك المسلم، سيكون النبي صلى الله عليه وسلم سعيدًا بك. سيكون أولياء الله سعداء بك. الله ﷻ يرضى عنكم حين ترضون بإخوانكم، أما الشيطان فلا يسعد. متى يسعد الشيطان؟ حين يتشاجر الإخوة المسلمون، سيفرح. لكن فرح الشيطان ليس كفرحنا، فهو حسود، مليء بالشر، ولا يمكن أن يسعد أبدًا. بقدر ما نُعاني، يبدو عليه الرضا، لكن الله ﷻ لم يمنحه السعادة. إنما منح الله ﷻ السعادة للمؤمنين.

.

بالطبع، ترى الكثير ممن ينشرون الفتنة، يؤذون المسلمين، يعيشون في بؤس دائم، تغمرهم الأفكار السيئة. قلوبهم مظلمة، مليئة بالأفكار الشيطانية. لا سبيل لهم إلى السعادة. حتى لو فُتيت الدنيا، فلن يكونوا سعداء. أما المؤمنون، فإذا حدث شيء من الله ﷻ، فرحوا، غمرتهم السعادة. عندما يكونون مع أهلهم، مع من يحبونهم، سيفرحون. ومثال على ذلك ذهابهم للحج أو العمرة أو الزيارة، تغمرهم السعادة. ولكن إذا ذهبوا إلى الكازينوهات، أو إلى أماكن سيئة، فلا يفرحون أبدًا. بل يخرجون من تلك الأماكن السيئة أكثر بؤسًا، ليسوا أفضل حالًا؛ بل يزدادون سوءًا.

.

لذلك، الحمد لله، طريقتنا هي التي تُعين الناس على السعادة. بعض الناس يدّعون الإسلام، لكنهم يفعلون ما يُغضب المسلمين. منذ البداية، يبدؤون بتعليم أنفسهم أو أبنائهم ألا يكونوا سعداء، وأن يلعنوا الصالحين، وأن يلعنوا صحابة النبي صلى الله

مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

عليه وسلم. وهم يبكون، يبكون، يبكون. الحمد لله، نحن نضحك؛ لا داعي لذلك [البكاء]. أمرنا الله ﷻ "فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا". صدق الله العظيم. يجب أن تكونوا سعداء، يقول الله ﷻ. عندما تكون في الطريق، مع الله ﷻ وأنت مسلم، "فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا". هذا أمرٌ! يجب أن تفرح! لا أن تبكي وتضرب نفسك. ثم تقول بعد ذلك "نحن مسلمون، نحن نحب هذا"، تُثيرون الفتنة في كل مكان.

.

لا، المسلمون، أهل الطريقة يفتحون القلوب. سيدنا أحمد اليسوي، سلطان تركستان. يقع مزارُه الشريف في كازاخستان. زرناه. كان لديه مئات الآلاف من المريدين. كان يُعلّمهم ويرسلهم إلى كل مكان، إلى بلدان غير إسلامية. وكانوا يجوبون الأرض، لا يُقاتلون، بل يُعلّمون الناس. بعد ذلك، عندما جاء جيش الإسلام، كان هؤلاء الناس سعداء باستقبالهم. لأنهم يعلمونهم السعادة، ويعلمونهم الخير، والعدل، وكل ما هو خير، ما ينقصهم. كان هؤلاء الناس يذهبون ويعلمونهم. مئات الآلاف من العلماء الدراويش. الدراويش هم من يعرفون الصلاة، يعرفون السُنّة والفرض، ويتّبعون الطريقة. كانوا يفتحون القلوب قبل فتح القلاع والحصون.

.

لذلك، الطريقة هي الحب، منح الحب للناس، منح السعادة للناس، للإنسانية جمعاء. نرى اليوم أيضًا أن العديد من غير المسلمين يأتون إلى الإسلام عبر الطريقة. يقولون: صوفي، صوفي. لكن إذا ذكرت لهم "الإسلام" يهربون لأنهم يظنون أن الإسلام كما يصفه هؤلاء: قتل الناس، إيذائهم، انعدام الرحمة، وعدم وجود أي خير فيه. لكن عندما تذكر "صوفي"، يأتون؛ على سبيل المثال، إلى قونية، إلى سيدنا جلال الدين الرومي. غير المسلمين يُحبّونه. ربما لا يعرفون إن كان مسلمًا أم لا، لكنهم يقولون إنه شيخ الصوفية. يتّبعه الآلاف، بل مئات الآلاف. وكتابه هو الأكثر مبيعًا.

.

يجب على الناس أن يعلموا هذا ويُقدّروه. فالصوفيون، أهل الطريقة يفعلون تمامًا ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم. ومن خلالهم، ربما يدخل الإسلام الآلاف، بل الملايين. وعندما يكون العكس، عندما يتصرف هؤلاء الناس ضد تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الكثيرين يفرّون من الإسلام قائلين "لا نريد هذا. هذا ليس جيدًا". لكنهم لا يعرفون الإسلام الحقيقي. هذا هو الإسلام: الأخوّة، المحبة، وعدم ظلم أحد، وعدم إجبار أحد على اعتناق الإسلام.

.

الإسلام يأتي من القلب. لم يُجبر النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا على الإسلام قط. وقد ورد في القرآن الكريم، في سورة التوبة، أنه إذا أراد أحد أن يدخل الكعبة، فعليه أن يكون مسلمًا. وإلا فلا يدخلها. ولكن لا تُجبروهم على الإسلام. فإن لم يرغبوا في الإسلام، فليظلوا على دينهم، ولكن عليهم طاعة الوالي أو السلطان ودفع الجزية. لم تكن الجزية مرتفعة آنذاك. ربما يظنها البعض مرتفعة. أما اليوم، فالضريبة في أوروبا قد تصل إلى تسعين أو ثمانين بالمئة. أما الجزية، فهي كالزكاة، ربما اثنان ونصف بالمئة؛ لا شيء. وفي ضريبة القيمة المضافة، قد تدفع عشرين أو ثلاثين بالمئة، أو لا أدري. وتدفع ضريبة إضافية عليها. فالحمد لله، عندما تفعل شيئًا، فإنك تُعطي كل ما لديك للحكومة. ومع ذلك، ما زالوا يُصوّرون الإسلام وكأنه أمر سيئ.

.

لا، بل الإسلام، والحمد لله، هو الأفضل. لأنه دين الله ﷻ، وكل شيء فيه متوازن؛ لا شيء صعب ولا شيء عسير. كل شيء فيه خير. حتى النبي صلى الله عليه وسلم قال عن السواك "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ". أي أن يستخدموا السواك عند الصلاة. وللسواك فوائد جمة؛ ليس فقط من السُنّة، بل له فوائد صحية وللأسنان، لكل شيء، فوائد لا حصر لها. حتى في هذا، حرصًا من النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يُصعّب الأمر علينا، قال "لن آمر بهذا".

.

إذاً، كل شيء في الإسلام متوازن. وأين تجد هذا التوازن؟ تجده في الطريقة، والحمد لله. الطريقة والشريعة واحد، وقلب الشريعة هو الطريقة. قد يتساءل البعض "لماذا نريد الطريقة؟" إن لم ترغبوا بها، فاتبعوا الشريعة. ولكن بعد ذلك، سيأتي من يُضلّكم عن الشريعة أيضًا، ويخدعكم، بل ويجعلكم تسبّون أهل البيت أو الصحابة. أغلب من ليسوا في الطريقة هم من هذا النوع. إذا لم يكونوا من هذا الجانب أو ذاك، بل كانوا في الوسط، فقد يتأثرون سريعًا بهؤلاء الناس. فيصبحون يرتكبون الحرام، يلعنون هؤلاء الناس، هؤلاء الصالحين. لذلك، حتى في هذا، يجب على الناس اتّباع الطريقة أو الاستماع إلى أهلها. هذا أمر بالغ الأهمية لحياتنا وحياة أبنائنا. من المهم جدًا تعليمهم محبة النبي صلى الله عليه وسلم، محبة الصحابة، محبة أهل البيت.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

الحمد لله، كما قلنا، نحن الآن في هذا الشهر، شهر النبي صلى الله عليه وسلم. يبدأ في تقويمنا الليلة، وربما يبدأ غدًا في تقويم آخر، ولكن لا بأس. المهم هو احترام هذا الشهر وتقبّله، فهو شهر النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان ﷺ يُقدّره حق قدره. وكما ورد في جميع كتب الحديث والسيرة النبوية، كان ﷺ يصوم فيه أكثر من أي شهر بعد رمضان، في شهر شعبان المُكرّم المُعظّم. باحترامنا للنبي صلى الله عليه وسلم، واحترامنا لما كان يفعله ﷺ، فإننا نحترم الشهور، الأيام والليالي المباركة. كل هذا من تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم. وعندما تتّبعون تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم، يُعطيكم الله ﷻ أضعافًا مضاعفة من الأجر، بل وأكثر من ذلك بمئات الأضعاف. الحمد لله، إنه يوم مبارك ومكان مبارك. هذه هي زيارتنا الأولى. بارك الله فيكم. نسأل الله ﷻ أن يثبتنا على طريقه ﷻ، فلا يخدعنا الشيطان وأتباعه. نسأل الله ﷻ أن يُسعدنا. فنحن لا نبكي، ولا نفتعل الفتنة على ما حدث أمامنا. سيسأل الله ﷻ عما حدث. ليس هناك ثواب على شتم الصالحين أو قول السوء عنهم. فهذا يزيد قلبك ظلمة، ويزيد من حزنه، ويجلب الفتنة. نسأل الله ﷻ أن يحفظنا من هذا. نسأل الله ﷻ أن يبارك فيهم. الله ﷻ يرزقنا من بركتهم، زمن السعادة، زمن الفرح الذي غمرنا به النبي صلى الله عليه وسلم. إننا نعيش في زمن سيئ، ولكن الله ﷻ يملأ قلوبنا من هذه السعادة، إن شاء الله. هذا الزمن ليس جيدًا، ولكن إن شاء الله، إن الله ﷻ قادر على كل شيء. نؤمن أنه من السهل أن تغمر قلوبنا السعادة، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
19 كانون الثاني 2026/ 30 رجب 1447
جامع أبو بكر - روثرهام، المملكة المتحدة